دراسة في ملمح نهاية الطور الابتدائي بالمدرسة الجزائرية:
تقويم مكتسبات التربية العلمية والتكنولوجية - البعد التكنولوجي أنموذجا
الجزء 1: توطئة ومفاهيم أساسية

الطيب زاوي
مفتش التعليم المتوسط للعلوم الفيزيائية والتكنولوجيا، مديرية التربية لولاية وهران
iem31phy1@gmail.com

مقدمة

في إطار برامج عمل وزارة التربية الوطنية ومواصلةً لمساعيها المستمرة في إصلاح المناهج الدراسية وعصرنة المنظومة التربوية، لاسيما فيما يخص إعادة النظر في تنظيم الامتحانات المدرسية وتكييفها، باشرت الوصاية إجراء الامتحان النهائي "تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي" [1]، بداية من الموسم الدراسي المنصرم 2023/2022، وفي دورة تُعد ناسخة لسابقاتها المألوفة. وقد تم استكمال هذا المشروع بتوسيع التحوير واعتماد ما يُسمّى بـ "المعالجة البيداغوجية" مع مطلع السنة الدراسية الجارية.

ومن أجل تسليط الضوء على الإجراءات الهامة المصاحبة للعملية المستحدثة، وبغية فهم ماهية العلاقات التي تربط أبرز المتدخلين فيها، وكذا الدراية بنصاب كل واحد منهم من توزيع الأدوار لتفعيلها بما ينسجم وواجباتهم المهنية، أُجريت هذه الدراسة. وقد استندت هذه الدراسة على بعض النصوص المرجعية والوثائق المرتبطة بمستجدات الحال على غرار المرفقات والأدلة [2]، لتُقدّم منتوجا تقويميا لملمح التخرج من المرحلة الابتدائية في إحدى المواد العلمية، ولتُثمر بسند موجه للأستاذ، فتوضّح كل ما يهمه بشأن هذه الآلية البيداغوجية المجدّدة، وتشرح ما يقع على عاتقه من مأموريات والتي على رأسها التخطيط (إعداد الحصائل التربوية وبطاقات سير الأنشطة)، فضلا عن تزويده بأفكار وآراء مقترحة، علّه يتسنى له التنفيذ طبقا للمقرر وفي نفس الوقت التوفيق في المعمول.

في هذا الصدد، ولتحقيق المقاصد المرجوة، نظريا، ألّفنا هذا المبحث في جزءين. الأول للتمهيد كما هو معنون أعلاه، والثاني للتفصيل في الدراسة تشخيصًا وتحليلًا واستخلاصًا. أما عمليا، فالمقام لا يوائمه سوى الإشارة إلى أننا ألحقنا ذات المخطوطة بملفات توضيحية وملحقات رقمية، التي منها ما نقلناها من مصادرها الأصلية دون التصرف في محتوياتها نظرا لطبيعتها كالشبكات التحليلية، ومنها ما قمنا بإعادة صياغته أو حتى بلورته بمجهودنا الذاتي، مستأنسين بما تداوله بعض المنشغلين بالموضوع من الفاعلين في الحقل التربوي.

1. لمحة عن تطور التقييم

إنّ امتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي المعتمد سالفًا في المدرسة الجزائرية، كان انتقائيا لاقتصاره على المواد الأساسية الثلاث (اللغة العربية والرياضيات واللغة الفرنسية). ولقد ظل هذا الامتحان يوفّر معطيات فردية تخص التلاميذ على شكل كشوف نقطية، بهدف الترتيب والتصريح بالإجازات والعقوبات؛ ومعطيات اجتماعية تعني الأولياء، مفادها نجاح أو رسوب أبنائهم المتمدرسين؛ إلى جانب توفير إحصائيات جماعية تتعلق بالنظام التربوي، لغرض عرض النتائج من حيث الإيجابيات والسلبيات ومقارنة نسب ارتفاعها أو انخفاضها.

وبالتالي، كان التقييم في الواقع كمّيًا، والأثر مجرد وصف للنتائج وليس لمستوى الاكتساب. لذلك لم يخدم المرامي

المجسِّدة لمجمل المبادئ (القيمية والفلسفية والمنهجية) محور التشريع المدرسي المؤطر حينها. وعليه كان ينبغي أن يُستبدل هذا التقييم التقليدي بأساليب حديثة، تعتمد على التقدير النوعي الفاعل لا على الوصفي الناعت؛ فتدعّم جهود التعلّم ليصبح نشطا، وترمّم صنائع الإكساب ليغدو إنمائيا. وهذا في وقتنا الراهن، ما درجت تصبو إليه مقاربات واعدة بنظريات متكاملة معرفيا وبنائيا-اجتماعيا، في شتى مضامير التدريب وميادين التربية والتعليم.

الآن، ومما سُطّر في مسعى تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي [3] أنه جُعل ليكون امتحانًا شاملًا من خلال تقييم كل المواد لارتباط كفاءاتها المكرّسة في المناهج بملامح تخرج نهائية؛ وليكون تقييما وظيفيا بالانتقال من الفرز والتصنيف إلى وظيفتي التشخيص والتحصيل؛ وبالتخلي على نظام النقطة ليصير بالمقابل يوفّر معطيات تفصيلية تهم المتعلم والولي على حد السواء (شهادات تقييم بتوصيفات نوعية - دفاتر لتقييم المكتسبات)، ويوفّر أيضا معطيات تخص المعلم لإرشاد التعلّم بما يناسب من مهمات تقويمية. بالإضافة إلى معطيات متعددة ومستفيضة تخص النظام ككل (قاعدات لبيانات إجمالية متعلقة بـ: المواد التعليمية والكفاءات الشاملة، الكفاءات الختامية والمؤشرات، المؤسسات التربوية والأفواج، إلخ).

إنّ هذا التقييم في حقيقته هو إلزامي ووقائي، يعني كل التلاميذ بمن فيهم الممتحنين غير المنتقلين وحتى المقبلين أول مرة على الامتحان. وكذلك هو غير إقصائي، يعترف بمكتسبات المتعلمين مهما كان مقدارها. وحين ننظر في هذا التقييم مليًا، سنجده وصفيًا ومعياريًا، لاعتماده توصيفات دقيقة ودالة على مستويات تملّك الكفاءات بجميع معاييرها (درجات التحكم الأربع التي ستبيّن لاحقا في الجزء الثاني). كما نجده توجيهيا، إذ يحدد ماذا يجب على المعلم أن يُعلّم وكيف يجب للمتعلم أن يتعلّم، وهو بذلك تقييم مدمج ضمن سيرورة التّعلّم، زيادة على إمكانه توجيه المناهج وبرامج التكوين. فإذن بالأحرى، نراه أضحى ذا وظيفة تقويمية، لا مناص أن يستجلب ممارسات تتماشى مع مقتضيات هذه المستجدات الإصلاحية.

وبما أنّ التقويم في النظام التربوي الجزائري، وفق منظور المرجعية العامة للمناهج: "يقوم على جمع معطيات حول التعلّمات وتحليلها وتفسيرها، قصد التمكن من اختيار الضبط والتعديل المناسب" [4]، فعقب إتمام الطبعة الأولى من امتحان "تقييم المكتسبات" جاءت "المعالجة البيداغوجية" بنمط محيّن -لاعتبارها كانت ضمن أدوات المنهاج- لتستجيب بالفعل لتلك التدابير التنظيمية المترتبة عن اعتماد هذه النسخة المجربة من التقييم، ولكي تلبي بالنتيجة كل ما هو مطموح من فوائد بيداغوجية وغايات تربوية.

2. المعالجة البيداغوجية

1.2.تعريف

المعالجة البيداغوجية هي عملية تقويم للنقائص المكتشفة في العملية التعليمية التعلّمية وأثناءها. ويمكن القول إنها: "أداء أو مجموعة مهمات، يُعدّها المعلم ويشرف على تنفيذها، بهدف مساعدة المتعلمين على تجاوز صعوبة مؤقتة أو دائمة، لوحظت خلال التعلّم وكان الخطأ مؤشرها". وتُعرّف أيضا -كما تصفها النصوص القانونية المنظّمة لها- بالإجراء الكفيل بسدّ الثغرات لدى المتعلمين وتجاوز الصعوبات المشخّصة لديهم، بما يمكّنهم من مواصلة بناء تعلّماتهم بيُسر [5].

وعليه فالمعالجة البيداغوجية هي ليست إعادة تدريس للمفاهيم أو إرساء لموارد لم تُستوعب من قبل، بل هي عملية ملازمة ومتمّمة للفعل التعلّمي، ينجزها الأستاذ لعلاج القصور في الاكتساب المعرفي وضعف التحصيل المدرسي المسجل على تلامذته. لذلك يجب تمييز عمليات المعالجة البيداغوجية عن حصص الاستدراك والدعم، التي هي في الأصل بالنسبة للاستدراك، تستهدف تجاوز العجز الظرفي في المواد التدريسية الأساسية، وترمي بخصوص الدعم، إلى تقليص الفارق بين الأهداف المنشودة والنتائج المدرسية المحصّل عليها.

بناءً على هذا المفهوم، يمكن تأسيس العناصر الموالية، كأركان تُبنى عليها المعالجة البيداغوجية:

- استقراء المعطيات؛
- اعتماد الشبكات التحليلية؛
- توزيع التلاميذ، وتكرار الصعوبة.

2.2. طبيعة الصعوبة

تُصنّف صعوبات التعلّم إلى صنفين رئيسيين، فقد تكون معرفية أو منهجية. ومن حيث المصدر الذي تنشأ منه الصعوبة، يتجلى أنها دركات، متباينة غالبا في مميزاتها ومترابطة أحيانا في مسبباتها:

- الأولى: العوامل النفسية والصحية والاجتماعية المُعيقة للتعلّم؛
- الثانية: العجز عن إدماج التعلّمات أو توظيف المكتسبات؛
- الثالثة: قلة الاستيعاب في المعارف والمفاهيم؛
- الرابعة: ضحالة المعرفة أو ضآلة امتلاكها.

3.2. خطوات المعالجة

كي تتحقق الأغراض المتوخاة منها وتتجسد النجاعة المنتظرة من ورائها، لا بد لمن يضطلع بتدبير المعالجة البيداغوجية، المرور عبر مراحل مرتّبة ومضبوطة لإنجازها، والتي على رأسها ما يلي:

- تحديد الصعوبة مع وصفها؛
- تحليل الصعوبة وتكهّن أسبابها؛
- إعداد وثائق وسبل المعالجة؛
- اعتماد التغذية الراجعة البنائية.

4.2. المجال الزمني للمعالجة

إنّ إعداد مخطط زمني للمعالجة البيداغوجية، يستدعي مراعاة طبيعة الصعوبات ومدى تكرارها، ويقتضي من ثمة تحديد أوان ومدة العلاج، على أن يتم ذلك خلال مجالين:

- في الأسبوع الأول والثاني من الدخول المدرسي للتلاميذ، بعد حصر النقائص المكتشفة لديهم، والتي أفرزتها الشبكات التحليلية الخاصة بكل مادة.
- على مدار السنة الدراسية، وفق تسلسل التعلّمات وعلاقتها بالمكتسبات المستهدفة بالمعالجة، لتمكين التلاميذ من بناء تعلّمات جديدة.

5.2. أنشطة المعالجة وشروطها

يُفضّل صياغتها في صورة وضعيات ديداكتيكية، لاسيما البسيطة منها لتوظيف المعارف، أو برمجتها على شكل تمارين مكيّفة وأعمال تكميلية، بما في ذلك استثمار المشاريع واستعمال السندات. كما ينبغي تنويعها، بين أنشطة لبناء المفاهيم الأساسية المساعدة على التحكم في التعلّمات، وأخرى تسمح بتعديل مسار التعليم والتعلّم. أما الشروط اللازم توفرها لضمان الإتقان في تسيير أنشطة المعالجة، فهي:

- العمل الفردي و/أو في مجموعات؛

- انتهاج المقاربات التشاركية وتعاون الأقران؛
- توزيع الأعمال على الزمن المتاح؛
- متابعة سيرورة النشاطات وتقييمها؛
- التصويب وتسديد مسارات التعلّم.

3. المتدخلون المباشرون في المعالجة

بمقتضى المنشور الوزاري الإطار المتعلق بالعملية [5]، فإن أعضاء الجماعة التربوية المعنيين بمهام مباشرة في المعالجة البيداغوجية، هم: المفتشون، والمديرون، والأساتذة، ومستشارو التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني. حيث أُوكلت لهم أدوار محددة يقومون بها (نسرد أسفله أهمها)، مع إلزامهم بالتنسيق فيما بينهم لإنجاح ذات العملية البيداغوجية.

1.3. في مرحلة التعليم الابتدائي

❖ **مدير المدرسة الابتدائية**

- يسلّم الشهادات ودفاتر التقييمات للأولياء، ويبلّغ الأساتذة بكل المعلومات الضرورية.
- يدرس نتائج امتحان تقييم مكتسبات المرحلة، ويستقرئ المعطيات التي تخص المدرسة.
- ينجز ويحلّل شبكة الكفاءات الشاملة لكل المواد، ويستنتج حصيلة المردود التربوي للمدرسة.
- يضع مشروعا للرفع من مؤشرات الفعالية التربوية والجودة البيداغوجية، ويتابع مراحل الإنجاز.
- يكلّف أساتذة المدرسة بتحضير شبكات المواد لتقييم معايير الكفاءات، استعدادا لمجلس الأساتذة.

❖ **مجلس الأساتذة**

- يدرس شبكة الكفاءات الشاملة وشبكات تقييم معايير الكفاءات الختامية لكل مادة.
- يصيغ الحصيلة التربوية، مع التركيز على النقائص وعلاقتها بمكتسبات التلاميذ القبلية.
- يرسم استراتيجية لتسوية الاختلالات وتحسين النتائج، لتحقيق الرضا الاجتماعي على المدرسة.

❖ **أستاذ التعليم الابتدائي**

- يتفحّص دفاتر التقييم للتلاميذ المعيدين، ويجمع الملاحظات حول مكتسباتهم.
- يضع الخطط لتذليل عقبات تعلّمهم، آخذًا بعين الاعتبار نقاط القوة والضعف لديهم.
- يستغل مخرجات مجلس الأساتذة لبناء التدرجات السنوية، ويصوغ التوثيق ويُجري المعالجة ويقيّمها.

❖ **مفتش التعليم الابتدائي للمواد**

- يطّلع على مخرجات مجالس الأساتذة، ويتعرّف على استراتيجيات المعالجة البيداغوجية في المدارس التابعة له.
- يبحث في كل المستلزمات المطلوبة لتنفيذ الاستراتيجيات، ويكيّف لذلك نشاطاته وتكوينه حسب احتياجات الأساتذة.
- يسطّر برنامج لمرافقة الأساتذة في إجراء المعالجة الجماعية والفردية، ويتابع ويقدم التوجيهات لبلوغ الأهداف المسطرة.

2.3. مرحلة التعليم المتوسط

❖ مدير المتوسطة

- ينظّم جداول مواقيت عمل الأساتذة، ويضبط توزيع وإسناد أفواج السنة أولى متوسط.
- يستغّل نتائج تقييم مكتسبات التلاميذ، ويبلّغ الأساتذة بكافة المعطيات المتوفرة لعملية المعالجة.
- ينسّق ويتابع أعمال الخلايا التربوية بالمؤسسة، قصد التخطيط وتسطير البرامج والأشغال العلاجية.
- يسهر على حسن سير نشاطات المعالجة البيداغوجية، ويعمل على استثمار نتائجها في مشروع المؤسسة.

❖ مجلس التعليم

يطلب المدير من مسؤولي المواد التحضير لاجتماع المجلس، الذي ينعقد تحت رئاسة المدير في الأسبوع الأول من التحاق الأساتذة، فيتولون كلٌ حسب تخصصه:

- مسك الشبكات التحليلية لتقييم مكتسبات التلاميذ الوافدين للمؤسسة.
- إنجاز شبكات تقييم معايير الكفاءات الشاملة للمواد، ولجميع الأفواج.

ويتم في الجلسة:

- تحليل شبكات تقييم معايير الكفاءات الشاملة للمواد، وتشخيص كل العيوب المتطلبة للعلاج.
- صياغة استراتيجيات لتدريس المواد، بالتركيز على كيفيات التكفّل بالحالات موضوع المعالجة.

❖ أستاذ التعليم المتوسط

يحضّر أولا الشبكة التحليلية لتقييم مكتسبات التلاميذ، ثم ينجز شبكات تقييم معايير الكفاءات الختامية لأقسامه، وبعدها يُعدّ حصيلة تربوية للمادة ولكل قسم مسند إليه. هذا التحضير التقني وما يلحقه من تهيئة العوامل والوسائل التي يُستعان بها، قد يتطلب -جراء ما يُوجبه التقويم- التدارك واقتراح التعديل في جوانب أو محطات المعالجة البيداغوجية. ولكي يضمن الأستاذ التكامل في محطاتها وجوانبها، فهو ملزم بأن يؤدّيها في مظهرين:

- المعالجة ضمن الأفواج: حيث يرتب الأستاذ عمله فيها على النحو الآتي:
  - يشكّل في بداية السنة مجموعات التلاميذ المعنيين بالمعالجة حسب النقائص المشتركة.
  - يضع برنامج المعالجة لكل مجموعة، ويعتمد منهجية ملائمة لتنفيذها.
  - يقوم بالمعالجة التمهيدية في الأسبوعين الأوّلين من السنة الدراسية.
- المعالجة الفردية: والتي يكون فيها أداء الأستاذ مقيّدا في النقاط الآتية:
  - تحديد قائمة التلاميذ الذين ينفردون بعدم امتلاك مكتسبات معيّنة.
  - حصر التعلّمات الجديدة التي تحتاج إلى معالجة مكتسبات ناقصة.
  - الحرص على التطبيق الآني واستمرارية المعالجة طيلة السنة الدراسية.

❖ مفتش التعليم المتوسط للمادة

- يطّلع على مخرجات مجالس التعليم، ويتعرّف على استراتيجيات المعالجة البيداغوجية في متوسطات مقاطعته.
- يبحث في كل المستلزمات المطلوبة لتنفيذ الاستراتيجيات، ويكيّف لذلك نشاطاته وتكوينه حسب احتياجات الأساتذة.

- يسطّر برنامج لمرافقة الأساتذة في إجراء المعالجة الجماعية والفردية، ويتابع ويقدم التوجيهات لبلوغ الأهداف المسطرة.

❖ **مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني**

بعد إلمامه بالمعلومات الإحصائية حول خصوصيات كوكبتين من التلاميذ، الجدد في السنة أولى من مرحلة التعليم المتوسط والمعيدين للسنة الخامسة من مرحلة التعليم الابتدائي، تنوط به المهام التالية:

- يشخّص حالات "صعوبات التعلّم" التي مصدرها أسباب نفسية واجتماعية.
- يضع خطة عمل تتضمن تدخلاته مع التلاميذ المعنيين بالمعالجة فرديا وجماعيا.
- يتكفّل بالمرافقة النفسية للتلاميذ، من أجل تعزيز الثقة بالنفس وكذا رفع المعنويات.
- ينظّم مقابلات مع الأولياء للإعلام والتحسيس بضرورة المساهمة في متابعة أبنائهم.

المـراجـع

[1] القرار الوزاري المؤرخ في 8 يناير 2023، الذي يحدد كيفيات تنظيم امتحان تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي وسيره، وكذا إجراءات القبول في السنة الأولى متوسط.

[2] وزارة التربية الوطنية، "دليل تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي" للتربية العلمية والتكنولوجية، السنة الدراسية 2023/2022.

[3] المنشور الوزاري رقم 14/و.ت.و/م.ع.ت/2023 والمؤرخ في 18 يناير 2023، المتعلق بتنظيم امتحان تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي للسنة الدراسية 2023/2022.

[4] اللجنة الوطنية للمناهج - وزارة التربية الوطنية، "المرجعية العامة للمناهج"، مارس 2009، ص58.

[5] المنشور الوزاري رقم 214/و.ت.و/م.ع.ت/2023 والمؤرخ في 19 أوت 2023، المتعلق بالمعالجة البيداغوجية لنتائج تقييم مكتسبات مرحلة التعليم الابتدائي.